المؤتمر العلمي الدولي

الزكاة في ليبيا من منظور شرعي وقانوني

"نحو زكاة فاعلة تحقق مقاصدها"

أسرار الزكاة ولطائفها الروحية عند الشيخ عبدالسلام الأسمر

موسى خليل البلعزي

كلية الشريعة والقانون الجامعة الأسمرية الإسلامية

زليتن– ليبيا

Mosaa2030@yahoo.com

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد... فهذ ورقة بحثية أعددتها للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي – الزكاة في ليبيا من منظور شرعي وقانوني – تحت شعار (نحو زكاة فاعلة تحقق مقاصدها) الذي يعقد تحت رعاية مكتب صندوق الزكاة زليتن وكلية الشريعة والقانون بالجامعة الأسمرية الإسلامية .

وقد آثرت أن أكتب عن أحد العلماء الأعلام الشيخ عبدالسلام الأسمر فهو من أبزر رجال القرن العاشر في الدعوة إلى الله ، وصاحب نهج قويم في التجديد والأصالة في عصره ، ومن الشخصيات التي ساهمت في المحافظة على الدين الإسلامي وتثبيت قواعده ، إضافة إلى زاويته العامرة التي أسسها كمنبر للقرآن الكريم والتعليم الشرعي وللوعظ والإرشاد، حيث لعبت دورًا فعّالاً في الحفاظ على الهوية الإسلامية فقد كانت معهدًا لتربية العقول ، ومعبدًا لتطهير القلوب، والذين تربوا تحت ظلالها هم علماؤها وفقهاؤها أسهموا بشكل فعّال داخل ليبيا وخارجها.

وفي هذه الدراسة سأتناول أسرارالزكاة ولطائفها الروحية عند الشيخ عبدالسلام الأسمر من خلال رسائله ووصاياه إلى تلاميذه ومريديه ، وتكمن أهمية البحث في معرفة إبرازمنهج وخواطر الشيخ الأسمر لشعيرة الزكاة ، فهي جزء لا يتجزأ من أحكام الشريعة الإسلامية التي جاءت لإسعاد البشرية وتحريرها من الظلمات إلى النور، والعبادات هي النور الإلهي

للناس جميعا ، التي فيها من الأسرار والثمرات ما لا يحصيه عد ، وقد انتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

وما هذه الورقة إلا مساهمة متواضعة من أحد طلاب زاويته العامرة ، غمره الشعور بالانتماء إليها وسعد بانعقاد هذا المؤتمر العلمي في رحابها.

الكلمات المفتاحية : أسرار، الزكاة ، لطائف، الروحية ، الشيخ الأسمر

مقدمة

يعد الشيخ عبدالسلام الأسمر من أعلام الدعوة والإصلاح في ليبيا خلال القرن العاشر ، ومن الشخصيات التي ساهمت في المحافظة على الدين الإسلامي وتثبيت قواعده في المجتمع الليبي ؛ بل أحد أبرز قادة الإصلاح والدعوة في عصره ، فقد جمع الشيخ الأسمر في إمامته وعمله وإيمانه بين المعرفة الحقة والعمل الخالص والجهد الدؤوب ، وترك وراءه زادا طيبا من حسن الأثر وطيب القول وجليل العمل ، وهذا كله يظهر واضحا وجليا من خلال رسائله ووصاياه ، إضافة إلى زاويته العامرة التي أسسها كمنبر للقرآن الكريم والتعليم الشرعي وللوعظ والإرشاد ، حيث لعبت دورا فعالا في الحفاظ على الهوية الإسلامية ، فقد كانت معهدا لتربية العقول ، ومعبدا لتطهير القلوب، والذين تربوا تحت ظلالها هم علماؤها وفقهاؤها أسهموا بشكل فعال داخل ليبيا وخارجها.

ولا شك أن السعي في نشر محاسنهم ومآثرهم والحديث عنهم محبب إلى القلوب مؤنس للروح ، به تزكو النفوس ، وتشحذ الهمم وتستنير العقول ، ولهذا يقول ابن عبد البر في الاستذكار : (إن معرفة السير وتواريخ أعمال الأنبياء والعلماء والوقوف على وفاتهم من علم خاصة أهل العلم ، وأنه مما لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك وأنه مما يلزمه من العلم العناية به).[1] وجعل الإمام الغزالي صحبة الصالحين من العباد والزهاد من العلماء والعباد من أنفع أسباب علاج القلوب ، فتلاحظ أقوالهم ويقتدى بأفعالهم ، فإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع من سمات أحوالهم ومطالعة أخبارهم، وما كانوا عليه من الجهد الجهيد في العبادة.[2]

ومن هذا المنطلق يطيب لي أن أتناول أسرارالزكاة ولطائفها الروحية عند الشيخ عبدالسلام الأسمر من خلال رسائله ووصاياه إلى تلاميذه ومريديه ، وكذلك سأتناول شذرات من سيرته الجليلة ودوره الدعوي والإصلاحي ، حيث تكمن أهمية البحث في معرفة إبرازمنهج وخواطر الشيخ الأسمر لشعيرة الزكاة التي تعتبر جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية التي جاءت لإسعاد البشرية وتحريرها من الظلمات إلى النور، والعبادات هي النور الإلهي للناس جميعا التي فيها من الأسرار والثمرات ما لا يحصيه عد ، وقد انتظم هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي :

المبحث الاول : شذرات عن حياة الشيخ الأسمر

المبحث الثاني : رسائل الشيخ الأسمر وموضوعاتها

[1] الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، ج8 ، ص287

[2] إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ج 4 ، ص408

المبحث الثالث : أسرار الزكاة وأمثلة تطبيقية من رسائل الشيخ الأسمر

الخاتمة: لخصت فيها أهم نتائج البحث

داعيا الله تعالى التوفيق والسداد في إنجاز هذه العمل وأن يجعله خالصا لوجه الكريم .

المبحث الاول : شذرات عن حياة الشيخ الأسمر

أولا / اسمه ونسبه

هو الشيخ الفقيه المالكي الصوفي عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميد بن عمران المعروف بالخليفة بن محيا بن سليمان – دفين مقبرة سيدى الشعاب بطرابلس ليبيا– بن سالم بن خليفة بن عمران بن أحمد بن خليفة –الملقب بفيتور– بن عبد العزيز بن عبد الله –وهو المعروف بنبيل ولد فاس بفاس ودفن مكة بمكة المكرمة– بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الثاني إدريس الأصغر بن إدريس بن عبد الله إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بالأسمر، يقول الشيخ عبدالسلام عن نفسه سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سمرا في طاعة الله سبحانه) .[3]

[3] تنقيح روضة الأزهار في مناقب سيدي عبدالسلام الاسمر ، محمد مخلوف ، ص38

ثانيا / مولده ونشأته

ولد الشيخ عبدالسلام الأسمرعام 880 هـ الموافق 1475 م[4] بمدينة زليتن (غرب ليبيا) وتشير المصادر أنه قد نشأ يتيماً ، فقد توفي والده وهو صغير فنشأ في حجر والدته الفقيهة الصالحة سليمة بنت الشيخ عبدالرحمن الدرعي التي كفلته ماديا ومعنويا ، وأشغلته بعلم والصلاح ثم أشرف على تربيته عمّه الشيخ أحمد بن محمد الفيتوري ، حيث أدخله الكتاب ليتعلم القرآن على يد الشيخ علي بن عثمان الفيتوري حتى أصبح من الماهرين الحافظين في مدة قليلة لا يتجاوز عمره سبع سنوات ، وقد عرف عن الأسمر منذ صباه بنبوغه وإدراكه حيث لفت انتباه الشيخ أحمد زروق الفقيه المالكي المعروف وصاحب الفكر الصوفي الصحيح صديق أسرة الأسمر، فقد كان الشيخ زروق دائماً ما يزور عم الأسمر الشيخ أحمد الفيتوري ، وأثناء هذه الزيارات أصبحت هناك علاقة مودة كبيرة بين الشيخ الزورق والأسمر، وقد ذكر ذلك العلامة شمس الدين اللقاني بقوله : (كنت إذا توجهت مع شيخي سيدي أحمد زروق لزيارة الفواتير، ولقيه سيدي عبد السلام، وهو صغير يقول سيكون لهذا الولد شأن عظيم بطرابلس إلى أن يفوق أهل عصره .[5] وتجمع المصادر على أن الشيخ الأسمر توفي في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة 981 هـ 1573م ودفن بزاويته بمدينة زليتن [6]،

[4] رسائل الأسمر عبدالسلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه ، مصطفى بن رابعة –رحمه الله – ص20
[5] المصدر السابق ص: 21
[6] المصدر السابق ص: 22

طيب الله ثراه وأعلى منزلته وهذا يعني أنه عاش 98 سنة ، تكللها العمل الدؤوب والحركة المستمرة ، لم يتوان خلالها ولم يتوقف.

ثالثا / شيوخه في الطريق

يقول شيخ المتصوفة القشيري : (لو أن رجلًا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس كلهم ، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة ، من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يربيه ويريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه ، لا يحل الاقتداء به في تصحيح المعاملات[7] ويقول الشعراني : (ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم لما احتاج مثل الغزالي وعز الدين بن عبد السلام إلى شيخ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما الطريق: مَن قال: إن ثم طريقا للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله كذبا، فلما دخلا الطريق كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا بالبطالة والحجاب).[8]

استقى الشيخ الأسمر العلم والمعرفة من ينابيع عدة، وكان أولها في زليتن وبعد أن اشتد عوده حمله عمّه إلى الشيخ عبد الواحد الدوكالي بمدينة مسلاته ، ولا شك أن بركة شيخه واحترامه له وتقديره لجهوده تنتقل إليه ، كما هو معلوم في آداب العلم والعلماء وتشير المصادر إلى أنه مكث مع شيخه الدوكالي سبع سنوات[9]، ولم يكتف الشيخ الأسمر بإجازة شيخه الدوكالي له ، بل واصل رحلته العلمية حيث اخذ العلم على ثمانين شيخا من علماء المالكية ومشائخ التربية

[7] الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشرص 439
[8] التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ، طه عبد الباقي سرور ص57
[9] رسائل الأسمر ، ص24

والسلوك وجميعهم أجازوه وأن عليه أن ينتقل من مرحلة التلميذ إلى مرحلة الدعوى والتدريس[10], وقد كابد الشيخ الأسمر مصاعب الحياة في سبيل طلب العلم الشرعي الذي سيؤهله فيما بعد للانضمام لصفوف عظام الدعاة المنافحين عن دين الله وشريعته ، ولم يكن الشيخ الأسمر بدعا في ذلك ، فقد أصابه من المشقة والعنت ما أصاب الذين سبقوه في العلماء العاملين ، ولا بد لي من التعريج على ذكر بعض شيوخه من علماء عصره الذين أخذ عنهم العلم ، ولست أريد حصرهم هنا ، وإنما أذكر أشهرهم[11].

1) الشيخ علي بن عثمان الفيتوري
2) الشيخ أبو العباس احمد محمد بن محمد الفيتوري
3) الشيخ احمد زروق الفاسي
4) الشيخ عبدالواحد الدوكالي
5) الشيخ عبدالله العبادي
6) الشيخ محمد عبدالرحمن الحطاب
7) الشيخ على العوسجي
8) الشيخ عبدالنبي بن عبد المولى

[10] المصدر السابق ص: 25
[11] المصدر السابق ص: 25

رابعا / شخصيته وأبرز صفاته

اتصف الشيخ الأسمر في سيرته العطرة بصفات الدعاة الربانيين ، وقد مرت بنا حياته منذ أن كان طفلا صغيرا في حضن أسرته و طالبا للقران الكريم ثم شابا يافعا في زاوية الدوكالي ثم سائحا زاهدا عابدا وأخيرا داعية ومربيا ومصلحا ، وفي كل هذه المراحل تميزت شخصيته بالعلم وحسن الخلق والصدق والإخلاص والدعوة إلى الله على بصيرة ، والصبر والتواضع والزهد والورع والاستقامة ، وكان ذو نشاط وشجاعة وجرأة في الحق ، وفي ذلك نفي وشرد فما لانت له قناة ، ولا وهنت له عزيمة ، لقد كانت شخصيته الشخصية الإسلامية المعتدلة التي ترى في نفسها أنها مأمورة بتعليم الناس وإرشادهم إلى طريق الحق .

وتبدو شخصية الشيخ الأسمر أوضح في رثاء خليفته عمر بن جحا حيث يقول :

ومن لكتاب الله والشرع بعده *** ومن لأحاديث النبي مسراه
ومن للفتاوى والعلوم بأسرها *** ومن لتصاريف الكلام معناه
ومن لعلوم النحو والفقه *** ثم لتوحيد رب العالمين ذكراه[12]

كما كان الشيخ أشعري العقيدة حيث يقول : (أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري وإمامنا السنوسى في عقائده)[13]، مالكي المذهب لكنه لم يكن متعصبا في ذلك بل همه الأوحد هو الوصول إلى الحق (فإن قيل

[12] وكفى بهذه شهادة من قبل خليفة الشيخ وألصق الناس به ، لمزيد من الفائدة يراجع كتاب الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبدالسلام للشيخ عمر بن جحا ، تحقيق د.عبدالحميد عبدالله الهرامة ، ص39-40

[13] رسائل الأسمر ، ص91

إن الذكر في الجماعة كرهه مالك قلنا : المكروه من قبل الجائز لا يسمى ضلالة ولا يدخل صاحبه النار وعلة الكراهة عند مالك لعدم فعل السلف لا على إطلاقه وكم من أشياء لم تكن في عهد السلف وهي واجبة او مستحبة)[14] , سنى في تصوفه كان يرتدي الأبيض من الثياب ويتعمم بعمامة غالبا ما تكون بيضاء وفي بعض الأحيان يستبدلها بخضراء اللون ويتنعل بالنعل الأصفر الطرابلسي ، وأحيانا بالمداسة القيراونية ، كما يلبس الخف والجورب ،ويتختم بخنصره اليسرى ، وكان له معولا مربع الشكل له أربعة أوجه اتخذه من شجرالزيتون لاتفارقه أين ما ذهب مكتوب على وجه الأول بسم الله الكافي والوجه الثاني الغني الفتاح وعلى الوجه الثالث الرحمن الباقي وعلى الوجه الرابع الرحيم الزواق)[15].

خامسا / مؤلفاته

بالنظر إلى جهود الشيخ الأسمر في التأليف والتدوين وكذلك الخطب والمواعظ يدرك جليا المكانة العلمية التي تبوأها الشيخ الأسمر بين أقرانه ، وقد أشار الشيخ الأسمر إلى مؤلفاته بنفسه في رسالته إلى عبدالحميد بن على العوسجي بقوله :(.... وبيان ذلك يستدعى بسطا نذكره في بعض المؤلفات وغرضنا الآن ذكر الأشياء المجملة دون تفصيلات)[16] ، وتعتبر رسائله ووصاياه إلى أصحابه وأتباعه في مختلف المدن داخل ليبيا وخارجها من أهم مؤلفاته التي نجت من التدليس والتحريف والضياع وعلى أية حال فقد ذكر الدكتور عبدالحميد الهرامة بعض مؤلفات الشيخ الأسمر عند حديثه على

[14] المصدر السابق ص105
[15] المصدر السابق ص39-40
[16] المصدر السابق ص149

تاريخ التصوف في ليبيا بقوله : (..ومن التآليف الصوفية التي كانت مشهورة بين العامة والخاصة وصايا وأوراد وأشعار عبدالسلام الأسمر، وله أيضاً العظمة في التحدث بالنعمة وأسانيد الطريقة العروسية وقد وقفت على وصيته الصغرى والكبرى ، فوجدت أفكارا ومواعظا تستحق الدراسة والتأمل.....)[17]. وكذلك أشار الدكتور مصطفى رابعة – رحمه الله – إلى مؤلفات الشيخ الأسمر في كتابه وهي على النحو التالي:

1. رسائله وكتاباته إلى إخوانه وتلامذته ومريديه
2. رسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها
3. الوصية الكبرى
4. الوصية الوسطى
5. الوصية الصغرى
6. الأنوار السنية
7. العظمة في التحدث بالنعمة
8. التحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية
9. نصائح التقريب في حق الفقراء والنقيب

[17] بعض المصادر العربية لتاريخ الصوفية في ليبيا ، مجلة تراث الشعب ، عبد الحميد الهرامة ، العدد 17 . 18 ، ، ص106

10. مجموعة(الأحزاب والأوراد والوظائف)[18]

المبحث الثاني: رسائل الشيخ الأسمر وموضوعاتها :

المتأمل في رسائل الشيخ الأسمر يجدها زاخرة بموضوعات علم الكلام والفقه والتصوف والقرآن الكريم واللغة العربية ، وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على إحاطة ودراية الشيخ الأسمر بعلوم الشريعة وتمكنه من كثير من العلوم الأخرى ، ومشاركته العلمية وموسوعيته وتنوع معارفه ، حيث يتميز أسلوبه بالبساطة والخلو من التعقيد اللفظي ، والصناعة اللفظية ، مبتعدة عن مراعاة السجع أو البديع ، عارية عن الإطناب المخل ، كما أنها تتميز بقصرمقدماتها وخاتمتها ، كل ذلك بلغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، كثيرة التضمين ، يعزز كثيرا من آرائه وأحكامه بشواهد عدة من كتاب الله وسنة نبيه وأقوال الصحابة وكتب المتصوفة السنية ، وكثيرالاستشهاد بكلام من سبقه من أهل العلم والفضل وينقل عنهم ، ويصرح بذلك ؛ منهم الإمام الغزالي والجنيد والشيخ عبدالقادر الجيلاني والإمام النووي والشيخ حسن الشاذلي والإمام المازري وابن عرفة وابن حبيب والشيخ أحمد زروق والشيخ عبدالواحد الدوكالي ، فشكلت مصادر الشريعة لديه وعلى رأسها الكتاب والسنة أهم مصدر كان يستقي فكره منها ، ومن أهم الموضوعات التي تناولها الشيخ الأسمر في رسائله هي :

1) الدعوة إلى العلم والتعلم:

[18] رسائل الأسمر ، ص51-52

- القرآن الكريم
- اللغة العربية
- المنطق
- فائدة العلم وآفاته

2) الدعوة إلى الأدب وحسن الخلق:

- أدب المرء مع جلوسه مع الآخرين
- أدب المرء في سفره

3) التوحيد:

- النظر والاستدلال
- المعرفة
- معرفة الله بالصفات التي قام الدليل على وجوبها إلى معرفة الله تعالى
- الإسلام والإيمان

4) الفقه الإسلامي

5) التصوف [19]

وإذا أمعنا النظر في هذه الرسائل وما تحمله من معاني وأسرار، نجد منهجه يقوم على العناية بأسرار التشريع ومقاصده ، مخاطبا تلاميذه ومريديه ، قاصدا التيسير والتسهيل ، والإيجاز والاختصار ، فلم يكن وصوله للحقيقة عن ظن وتخمين ، بل عن طريق المعرفة واليقين ، حيث عمل الشيخ الأسمرعلى الجمع بين عمل السلوك والتربية والشريعة ، في إطار وحدة متكاملة لا يمكن الفصل بينها وتجزئتها، فالفقه عنده مفهوم شامل يشمل الأحكام التكليفية العملية والأحكام التكليفية القلبية ، فقد تكرر في رسائله ووصياه بالتمسك بالشريعة واتباع النهج الصحيح منها (....فاعلم أن أجمع النصائح وأنفعها وصية الله لنا ولمن قبلنا وهي قوله تعالى: { ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله}[20] ثم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولأمته ، وهي معرفة الله والتمسك بالكاتب والسنة ، إذا علمت ذلك فاعلم أني أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري ، والقدوة إمامنا السنوسي في عقائده)[21].

إن هذا المنهج الذي سلكه الشيخ الأسمر وأتباعه جعلهم لا يخرجون عن الوسطية والاعتدال ، بل هم واقفون عند حدود الشرع في حركاتهم وسكناتهم ، ويحاسبون أنفسهم على النقير والقطمير أكثر من غيرهم ممن لم

[19] المصدر السابق ، ص76
[20] سورة النساء من الآية:131
[21] المصدر السابق ، ص108

ينتظم في سلوكهم ، ويدافع الشاطبي عن أحوالهم بقوله : (فيظن الظان أنهم شددوا على أنفسهم وتكلفوا ما لم يكلفوا ودخلوا على غير مدخل أهل الشريعة وحاش لله ما كانوا ليفعلوا ذلك وقد بنوا نحلتهم على إتباع السنة وهم باتفاق أهل السنة صفوة الله من الخليقة)[22].

فهم بسلوكهم طريق المجاهدات والمكابدات والتضحية بالغالي والنفيس في ذات الحبيب صار الصعب الشاق سهلا، بل يتلذذون به ويجدون فيه حلاوة لا تضاهيها حلاوة { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين}[23] حيث بين الله – عز وجل – أن الصلاة كبيرة على المكلف واستثنى الخاشعين الذين كان إمامهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو الذي كانت قرة عينه الصلاة حتى كان يستريح إليها من تعب الدنيا ويقول: (يا بلال! أقم الصّلاة، أرحنا بها)[24] وقام بها حتى تورمت قدماه.[25]

وإذا أردنا أن نستكمل صورة الرسائل الأسمرية ، ونحدد الإطار الذي وجدت فيه فلا بد أن نلقي نظرة على مبادئها والمتمثلة في:

أولا / تصحيح العقيدة :

[22] الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، 4ج، ص 639
[23] سورة البقرة من الآية 45
[24] صحيح أبي داود 4985
[25] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الحسيني/ مرتضى الزبيدي ، ج5 ، ص14

وهوما جاء في معظم مقدمة رسائله منها رسالته إلى أصحابه بطرابلس (أوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي المحجة البيضاء وبتصحيح إيمانكم بالنظر والاستدلال وذلك أول الواجبات...)[26] ورسالته إلى أصحابه بسوس (فأول ما أوصيكم بمعرفة الله سبحانه وتعالى وما يجوز في حقه وما يستحيل) [27] ورسائله إلى أصحابه بتنبكتو(فأول ما يجب عليكم تصحيح إيمانكم)[28] وكذلك رسائله إلى راشد بن يحي المحجوبي (أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري والإمام السنوسي في عقائده)[29].

ثانيا / إقامة التكاليف الشرعية على وجهها الشرعي

دعوة الناس كافة إلى الالتزام بأحكام الإسلام الظاهرة والباطنة ، وذلك أن المسلمين في تلك الحقبة كان قد انتشر فيه الجهل وقلة الالتزام ، فكان تعليم الناس أحكام الشريعة هدفاً أولياً ، حتى يحقق المسلم معنى إسلامه ، وفي ذلك يقول الشيخ الأسمر في رسائله التي بعثها إلى أصحابه بتونس (وعليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس فإنها عماد الدين ، وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد.....)[30] ويسقول أيضا في رسالة أخرى (واعلموا رحمكم الله إن الصلاة لا تصح إلا بمعرفة واجباتها ومبطلاتها وسننها , ولا تكمل الا بمعرفة مندوباتها ومكروهاتها)[31] ومن رسالته إلى محمد الشاذلي (

[26] رسائل الأسمر ، ص108
[27] رسائل الأسمر ص283
[28] المصدر السابق: ص231
[29] المصدر السابق: ص139
[30] المصدر السابق: ص253
[31] المصدر السابق: ص254

أوصيك ....بإخراج الزكاة إن كان عندك مال يجب فيه إخراجها ، وأنت طيب القلب فرح مسرور بذلك وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين ، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم ، ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجوه الناس مردود العلم – إن الله سبحانه وتعالى لايقبل من الأعمال إلا ماهو خالص لوجهه)[32] ورسالته لأصحابه بسوس (أوصيكم بمعرفة الله صبحانه وتعالى ثم الصلاة والزكاة والصوم والحج الى بيت الله الحرام واعلموا ان في الصوم فوائد جليلة منها اجابة الدعاء ونزول البركة من السماء ... وللصائم دعوة لا ترد سواء كان فرضا أو نفلا).[33]

ثالثا / المجاهدات النفسية

تستند مجاهدة النفس، التي هي بداية الطريق إلى الله إلى آيات مثل قوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[34] . وقوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ}[35] . ومثل قوله تعالى : {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّو}[36] ويقسم الشيخ الأسمر هذه المجاهدة إلى ثلاثة أنواع متفاوتة، بعضها متقدم على بعض؛ فالمجاهدة الأولى مجاهدة التقوى، وهي الوقوف عند حدود الله والتقوى كما يراها الشيخ الأسمر هي: الوسيلة إلى خيرات

[32] المصدر السابق: ص134
[33] المصدر السابق: ص283
[34] سورة العنكبوت الآية 69
[35] سورة النازعات من الآية 40
[36] سورة يوسف من الآية 53

الدارين والأساس الذي يثبت عليه بناء أمر الدين وإذا لم يكن الأساس في غاية الأحكام كان البناء إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام)[37] والمجاهدة الثانية مجاهدة الاستقامة وهي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها والاستقامة كما عرفها الشيخ الأسمر هي(الإكثار من تلاوة القرآن مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه والوقوف عند عجائبه وأوامره ونواهيه وزواجره)[38] وأما المجاهدة الثالثة فهي مجاهدة الكشف والاطلاع ، والكشف والاطلاع ثمرة من ثمرات المجاهدتين السابقتين فبهما قد يحصل للإنسان العلم بالله وصفاته وبأفعاله وبأسرار ملكه وقد بينها الشيخ الأسمر في رسالته إلى عبدالحميد العوسجي (ومن أحكم مقام التقوى صلح وتأهل لعلم الوراثة ، وهو العلم الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه لا تحويها السطور ولا تفيده السطور ، وقد حرمه الله على أهل النفوس المظلمة المغشوشة بإصلاح المطعوم والمنكوح والملبوس ..... واتقوا الله ويعلمكم الله فهو ثمرة العلم بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة الخالص من شوائب النفس والهوى)[39].

المبحث الثالث : أسرار الزكاة ولطائفها عند الشيخ الاسمر

أولا / مفهوم الزكاة

[37] رسائل الأسمر ، ص110
[38] المصدر السابق: ص111
[39] المصدر السابق: ص151

الزكاة والتي هي قرينة الصلاة ، وقد قرنت بالصلاة في مواضع متعددة، تأكيدًا لبيان أهميتها وأثرها العظيم في الحياة ، والزكاة سبب لحفظ المال وجلب الرزق ، وهي برهان على الإيمان، فالزكاة فيها من الأسرار والثمرات والآثار ما لا يحصيه عد ، وبمعناها الواسع الطهارة والتزكية ، فهي تطهر نفس الغني من الشح والبخل، قال تعالى: {ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ}[40]، وتطهر نفس الفقير من الحقد والحسد، قال تعالى: {والَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ والْمَحْرُومِ}[41]، وقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا}[42]، كما أن الزكاة تعني النماء والزيادة ، فهي تنمي المال وتطرح فيه البركة، قال تعالى: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.[43]

ثانيا / حكم الزكاة :

الزكاة فريضة على كل مسلم ومسلمة بشرط بلوغ النصاب، وتعطى لمستحقيها الذين ذكرهم الله –تعالى– في القرآن الكريم،[44] وقد وردت الكثير من الآيات التي تدل على وجوب الزكاة، منها قوله تعالى: {وأَقِيمُوا الصَّلوةَ وَآتُوا الزَّكوةَ}.[45]

والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وعلى هذا يتم التمييز بين العبادة كممارسة شعائرية صورة وشكل ، وبين

[40] سورة الحشر الآية 9
[41] سورة المعارج الآية 24
[42] سورة التوبة الآية 103
[43] سورة سبإ الآية 39
[44] قال تعالى:{ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ } سورة التوبة الآية 60
[45] سورة البقرة من الآية 43

العبادة الروحية التي تتفاوت في سموها ورفعتها ومكانتها ومنزلتها بتفاوت مراتب العابدين ، الذين يتفاوتون كذلك بتفاوت ما يؤدونه منها ، فالذي تقع منه العبادة كتطهر روحي مثلا هو أرفع مستوى ممن يمارسها كشعيرة وطقس ، والحري أن تكون إحداهما من وظائف أهل الحقيقة والأخرى من وظائف أهل الشريعة فاعتبروا يأولى الألباب.

ويمكن تقسيم أسرارالزكاة لدى الشيخ الأسمر إلى لطائف ثلاثة:

1. **فهم معنى الزكاة ظاهرا وباطنا :**

الشيخ الأسمرلا يقف على معنى الزكاة بأنها النماء والزيادة والقرب والصلاح والطهارة ، أو لأن الصدقة توجب زيادة الثواب ، ولأنها مما يتقرب بها إلى الله بالطاعة والامتثال ولأنها تطهر المال من حقوق الله ومن حقوق الناس، فالأمرعنده مسلم به ؛ لأن ذلك ظاهر ما تقرره الشريعة وهو ما أوصى به تلاميذه ومريديه في مواضع كثيرة ، فموضع اهتمامه على وجه الدقة هو ما يتركه الالتزام بالزكاة من أثر في نفس الملتزم في المستوى الأخلاقي المعنوي والروحي من أسرار ولطائف ، يقول الشيخ الأسمر : (... وأوصيك بالتواضع وترك الكبر في الظاهر وإخراجه من القلب فإن المتواضع مرفوع والمتكبر موضوع عند الله ورسوله وأكثر من الصدقة وبذل الفضل واصطناع المعروف استطاعتك فإن ذلك يوسع الرزق ويطيب الذكر ..... والسخاء من أخلاق أهل الله والبخل من أخلاق أعداء الله فكن جوادا سخيا ، ولاتكن شحيحا ولا بخيلا وكن سليم الصدر على جميع المسلمين ...).[46]

[46] رسائل الأسمر ، ص 135

ولهذا أهل الفقه يعنيهم من الزكاة أن تقع من مؤديها على وجه الصحة ، بأن تستوفي أركانها ، وتستجمع كل شروطها على النحو الذي شرعت فيه في كتب الفقه ، وقننت على أساسه ؛ لكن الأمرعند الشيخ الأسمر يتجاوز ذلك ويزيد عليه ، إذ زكاتهم بعد قيامهم بما يقتضيه الشرع ويوجبه من معنى الزكاة انشغالهم بتطهير أنفسهم من رذيلة البخل ، وتنزيهها عن قذارة الشح الذي أشار القرآن إليه بقوله: { وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ، [47] ليحصل لهم بذلك ما لا يعد ولا يحصى من الآثار المعنوية والروحية ، ومن الأوصاف الحميدة والأخلاق الفاضلة ، وليزول من نفوسهم من الأوصاف الرديئة ، والأخلاق المذمومة والرذائل ، حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم؟ فقال: أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع! ولهذا تصدق أبو بكر – رضي الله عنه – بجميع ماله فقال له– صلى الله عليه وسلم – "ما أبقيت لأهلك" فقال: الله ورسوله.[48]

2. بيان نية المتصدق

مما جاء عنه بالنسبة لاعتبار النية في الأعمال قوله : (وإياكم أن تفعلوا شيئا من الأفعال الدنيوية والاخروية لغرض من الأغراض فالذي عرف الله ودخل في طريقتنا هذه لا يفعل لا يفعل شيئا لوجه الله تعالى لا لغرض من الأغراض أبدا والله هو الوهاب .....)[49] ويقول أيضا: (وعليكم بالإخلاص في كل فعل من الأفعال ولا تعرفوا أحدا إلا الله).[50]

---

47 سورة الحشر من الآية 9
48 تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي ، محمود بن محمد الحداد ، ص 577
49 رسائل الأسمر ، ص 137
50 المصدر السابق ، ص 139

ويستفاد من هذا

- ضرورة اعتبار النية في الأعمال
- ضرورة إخلاص العمل لله -عز وجل-.

ويشهد لصحة اعتبار النية في الأعمال حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..) [51] ، في هذا المقام يقول ابن أبي جمرة الأندلسي المالكي: (وددت لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما يأتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك). [52] وقد نبه الشيخ الأسمر على هذا المعنى بقوله: (وعليكم بالإخلاص في كل الطاعات والعبادات ، والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى ، كذا قرره القشيري فما خرج عن هذا فهو رياء .....). [53]

وأشار في موضع آخر (...وعليك بذكر ما أسبغ به عليك من نعمه الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية وبالغ في القيام بشكرها لسانا وقلبا فشكر القلب بأن كل نعمة عليه من الله .....). [54] وكذلك قوله :(.. وبالنية الحسنة الصالحة يحصل للإنسان ثواب جميع ما نواه إذا عجز عن العمل، ومن صلحت نيته وطاب ضميره وصفت سريرته حصل على

[51] صحيح البخاري ، ج1 ، ص 6
[52] نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، أحمد الريسوني ، ص316
[53] رسائل الأسمر ، ص 140
[54] المصدر السابق ، ص 145

الخيرات كلها الآجلة منها والعاجلة ، رزقنا الله وإياك ذلك ووالدينا وأحبابنا).[55] ويحذر من غفلة القلب بقوله : (والحذرعن الغفلة عن حسن النية وعن استحضارها عند كل حركة ...)[56] ويشير أيضا إلى حديث النبيء – صلي الله عليه وسلم – (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)[57] ، ولذلك قال بعض المشايخ – رحمهم الله – صحح عملك بالإخلاص، وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة.[58]

ولم يكن الشيخ السمر متفردا فيما ذهب إليه ، فإن العلماء الثقات يقررون ما ذهب إليه ويؤكدونه ، من ذلك ما ذكره الشيخ أحمد زروق عن بعض شيوخه (قال الشيخ أبو طالب المكي – رضي الله عنه– والإخلاص عند المخلصين: إخراج الخلق من معاملة الحق، وأول الخلق النفس، والإخلاص عند المحبين: أن لا يعمل عملا لأجل النفس، وإلا دخل عليه مطالعة عوض أو ميل إلى حفظ نفس، والإخلاص عند الموحدين: خروج الخلق من معاملة الحق من النظر إليهم في الأفعال ، وعدم السكون إليهم والاستراحة بهم في الأحوال.[59]

3. استصغار العطية وأن لا يبطلها بالمن والأذى

[55] المصدر السابق ، ص 137
[56] المصدر السابق ، ص 138
[57] المصدر السابق ، ص 137
[58] شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق على متن الرسالة ، عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، ج2 ، ص 1034
[59] الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري بشرح أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بزروق ، تحقيق ، رمضان بن محمد بن علي البدري ، ص28

من المسائل التي استوعب الشيخ الأسمر في بيانها ضرورة استصغار العطية لقوله تعالى:{ يَأَيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تبُطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى }[60] وقوله تعالى : {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[61] فيوصي أتباعه وتلاميذه بأن يستصغروا العطية ويحذرهم من العجب بقوله : (..... ولا تعلق قلبك بشيء سوى ربك وارفع همتك عن الأكوان ولا تعجب بنفسك ولا ترتفع على إخوانك ، ولا تتبع على النفس الأمارة بالسوء في شيء من الأشياء...)[62] فإنه إن استعظم عطيته أعجب بها ، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال ، قال تعالى: { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ }[63]، ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله –عز وجل– ولأجل ذلك حذر الشيخ الأسمرمن أن يقع المتصدق ، وهو ينفق، في المن والعطاء ، وأن يرى المتصدق نفسه متفضلا على من يعطيه محسنا وإليه أشاربقوله: (.....وأنت طيب القلب فرح مسرور بذلك وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين ، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم ، ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجوه الناس مردود).[64] قال تعالى:{وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا}

65

---

60 سورة البقرة الآية 264
61 سورة االبقرة الآية 263
62 رسائل الأسمر ، ص 140
63 سورة التوبة من الآية 25
64 المصدر السابق: ص134
65 سورة النحل من الآية 92

* * * * *

الخاتمة

وبعد هذه الجولة المباركة في رحاب رسائل الشيخ الأسمرالماتعة النافعة ، التي تدل على علو كعب الشيخ الأسمر في أسرار الزكاة ، ونحلته في ذكر محاسن الشريعة كاملة ، و يمكن تسجيل أهم النتائج في النقاط التالية :

1) إن الشيخ عبد السلام الأسمر لا يمكن اعتباره مجرد عالم متصوف فقيه ، وإنما هو عالم متضلع في كل علوم الشريعة.

2) تدل رسائل الشيخ الأسمرعلى اطلاعه الواسع ولغته السليمة ودرايته بالعلوم واستشكالاتها ، واجتهاده في نقاشها بفهم وتعليل لا يصدرعن فقيه محدود الإمكانات.

3) يبرز اهتمام الشيخ الأسمر بالفقه في رسائله وضرورة تعلم العبادات والمعاملات وتعليمها للناس.

4) استظرد الشيخ الأسمر الكثير من القواعد المهمة لشعيرة الزكاة ، وتحذيره من المخالفة لما أمر الله به ، وعدم التغافل عن السنن التي أمر بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والتفريط في الشعيرة.

5) الزكاة ركن عظيم من أركان الإسلام فعلى المريد أن يعلم آدابها ومهماتها لينال به ثمرة مراد الله من هذه الشعيرة.

6) تمثل الزكاة وأسرارها الروحية عند الشيخ الأسمر أسمى غايات العبودية والاستسلام لله –عز وجل – كما أراد وحكم ، فهي طهارة للروح وتزكية للنّفس من دنس الطمع والبخل والجشع والأنانية

7) استمد الشيخ الأسمر في رسائله من أوثق مصادر العلم والمعرفة ويستشهد كثيرا بأقوال العلماء العارفين ، كالغزالي والجنيد والشيخ عبدالقادر الجيلاني والمازري وابن عرفة والنووي والشيخ حسن الشاذلي وشيخه الشيخ الدوكالي والشيخ أحمد زروق وغيرهم من أهل الصلاح والفلاح

8) يتضح – ولا مجال للشك – أن منهجه مبني على التمسك بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة والعمل بهما ظاهرا وباطنا، وترسيخ هذا المنهج في وجدان مريديه وأحبابه، وأن أي دعوة لا تقوم على الكتاب والسنة فهي دعوة باطلة، ولا أساس لها .

9) التذكير بضرورة الاهتمام والاعتناء بالتراث الإسلامي ، والبحث عن مؤلفات الشيخ الأسمرعلى وجه الخصوص لما لها من أسرار وكنوز روحانية ، وأنس تام لسالك الطريق فإنهم القدوة وبهم الإقتداء .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

1. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الحسيني/ مرتضى الزبيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2016م.

2. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: 505هـ) ، دار المعرفة ، بيروت 1982 م.

3. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : سالم محمد عطا، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 م.

4. بعض المصادر العربية لتاريخ الصوفية في ليبيا ، مجلة تراث الشعب ، عبد الحميد الهرامة ، العدد 17 . 18 ، سنة 1985م.

5. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي ، استخراج محمود بن محمد الحداد ، دار العاصمة الرياض ،1987م.

6. التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ، طه عبد الباقي سرور ، مكتبة نهضة مصر 1996م.

7. تنقيح روضة الأزهار في مناقب سيدي عبدالسلام الاسمر ، محمد مخلوف ، مكتبة الأزهر، 1907م.

8. الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري بشرح أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بزروق ، تحقيق ، رمضان بن محمد بن علي البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2019م.

9. الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، محمد بن أحمد ميارة المالكي ، تحقيق : عبد الله المنشاوي دار الحديث 2008م.

10. رسائل الأسمر عبدالسلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه ، تحقيق ودراسة : مصطفى بن رابعة – رحمه الله – المنار الإسلامي ، بيروت 2002م.

11. شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق على متن الرسالة ، عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، دار الفكر1982م.

12. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله ، دار ابن كثير – دمشق 2002م.

13. كتاب الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبدالسلام للشيخ عمر بن جحا ، تحقيق د.عبدالحميد عبدالله الهرامة ، دار الفسيفساء طرابلس 2010م.

14. الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن عفان 1997م.

15. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، أحمد الريسوني ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995م.